

صفحات من لبنان

بقلم العميد الركن المتقاعد ادونيس نعمة

عيد الجلوس الهمايوني المأنوس
زمان الإحتفال به في جبل لبنان

وبعض الفرسان من امامها وهم شاهرو
السيوف. عندما يصل الى مدخل
الميدان كانت الموسيقى العسكرية
تصدح بالسلمك (النشيد الحميدي
او الرشادي) وتتعالى الادعية للسلطان
"بادشاهم جوق ياشاه" (أي: الله يحفظ
حياة السلطان طويلاً)، فيتجمل المتصرف
ويدخل قاعة الاستقبال حيث كان
يتوافت عليه القناصل والاعيان وجماهير
اللبنانيين يقدمون فروض المعايدة
والتهنئة، ويتبارى الخطباء والشعراء
في المدح والثناء، وكل منهم أمل في ان
يصيب الحظوة في نفس الباشا ويفوز
بالوظيفة التي يصبو اليها.

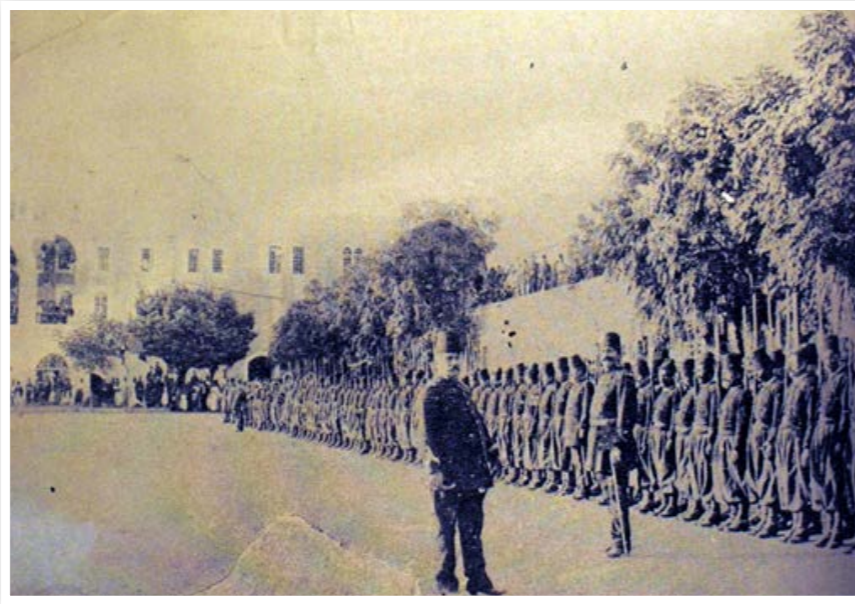
وفي الساعة المعيّنة، بعد الانتهاء من
الاستقبال، كان المتصرف يظهر من على
الشرفة المطلّة على الميدان يحيط به
جمهور المهنتين من القناصل، وكبار
الموظفين والاعيان، فيستعرض الميرالاي
العساكر تحت انظارهم بينما ينبري
كل قائد "طاقم" لاعطاء الأمر لرجاله
باطلاق النار، وكانت صيغة الامر هكذا:
"حظرون (أي تهيأ). نيشان ال (أي خذ
الهدف). اطش" (أطلق النار)، بينما يأمر
الآخر رجاله قائلاً: "دل در"، (أي عبى
البندقية).

بينما الجنود يطلقون النار بكثرة من
بنادقهم القديمة، كان اللبنانيون في
ساحة الميدان ينصرفون الى العاب
الخيل، وضرب الجريد وتحدي بعضهم
بعضاً، ونادراً ما كان يمضي العيد من
دون حصول حوادث تخل بالامن وتعكر
صفاء العيد المأنوس.

اما بقية النهار فكانت تمضي حسب
الوامر التي اعطاها المتصرف كما تقدم
القول من اقامة معالم الزينة والتنوير
والالعب النارية الى ساعة متأخرة ليلاً،
ثم تتفرق الجماهير وهي تدعو للذات
الشاهينة بالعرز والتأييد.



حفلة عيد جلوس السلطان في بتدين.



الميرالاي سعيد سعد الدين شهاب يستعرض الجنود في عيد الجلوس المأنوس.

في اليوم المعين كان الجنود يضربون
نطاقاً حول ميدان السرايا، وتحتل
"طواقمهم" الساحة الداخلية بصفوف
متقاربة. وكان الباشا المتصرف يحضر
في عربته الخاصة بألبسته الرسمية
(المشيرية) والضابط الياور من خلفها،

الله عمر الذات الشاهانية وأبد ملكها،
وأيد شوكتها، امين".

زمن السلطان عبد الحميد الثاني كان
يجري هذا الاحتفال عادة في سرايا بيت
الدين، وفي زمن السلطان محمد رشاد
كان يجري في سرايا بعبد غالباً.

في اليوم السابق للعيد كان المتصرف
يُصدر امره الى الميرالاي لاقامة الاحتفال
الرسمي، وقد نقلنا نص هذا الامر
الذي يحمل الرقم 488 عن "دفتر
اوامر متصرف لبنان، المشير المعظم، الى
اميرالاي عساكر جبل لبنان سنة 1313
(1897 م)":

"لائحة الترتيب لنهار غد الخميس 19
اغسطس تكون على الوجه التالي: الساعة
الثالثة من النهار تسليم بوردليات
(مراسيم تعيين الضباط وترقيتهم)
في باحة السرايا الداخلية، ويُفرج عن
المسجونين الذين شملهم العفو، ثم
الدعاء ثلاث مرات: بادشاهم جوق
يشاه. في الساعة الثالثة ونصف استقبال
المعايدة. الساعة الخامسة دعاء للذات
الشاهانية. الساعة الخامسة ونصف
اطلاق القواس واحدا وعشرين طلقة.
الساعة العاشرة يوقلمه العسكر. الساعة
الحادية عشرة عشاء العسكر. الساعة
الثانية عشرة استعدادات الزينة. الساعة
اثنين ونصف الالعب النارية. وعلى إمام
جامع دير القمر ان يتلو دعاء ايضاً
للذات الشاهانية، ولأجله حررت هذه
الشقة افندم.

في 18 اغسطس سنة 320
الامضاء : مظفر".

بيروت، الواقعة تحت الحكم العثماني
المباشر، فكان الاحتفال يجري في مدينة
بيروت الملقبة آنذاك بـ"الدرة اليتيمة في
تاج بني عثمان".

في ما يلي وصف لعيد جلوس السلطان
عبد الحميد الثاني الشهير الذي ارتقى
العرش في 6 ايلول 1876 حتى سنة
1908:

"قدم عيد الجلوس الهمايوني المأنوس،
فاستشرت الامة العثمانية عموماً
بدخول هذا العيد السعيد، وترطبت
اللسن بالدعاء لحضرة ولي النعم
مولانا ومليكنا السلطان ابن السلطان
عبد الحميد خان، أيد الله ملكه مدى
الدوران. وقد احتفل بهذا العيد الحميد
بمنتهى ما يكون من مظاهر الاجلال
والتعظيم، فرفعت اعلام الدول، واقتبل
حضرة سعادتلو نصوحي بك متصرفنا
الاکرم مراسم التهني في سرايا
الحكومة بملابسه الرسمية، وكانت
الموسيقى العسكرية تصدح بانغام
السرور. فوفد على سعاداته المأمورون،
وامراء العسكرية، ووجوه الاهلين
وتراجم القناصل، وتكررت الدعوات
الخيرية للحضرة العليّة السلطانية. وفي
مساء ذلك اليوم السعيد ظهرت المدينة
في حلة من نور، وزُيّنت المواقع الرسمية
ومنازل كثيرين من المأمورين والاعيان،
وتجلت الحديقة الحميدية امام سراي
الحكومة بمظهر بديع يأخذ بالابصار،
وكانت تنبعث منها الالعب النارية
المتنوعة مزيج البهاء والرونق، والناس
من حولها فرحون مستبشرون. اطال

تبع لبنان السلطنة العثمانية منذ سنة
1516، عندما تغلب السلطان سليم
العثماني على قانصو الغوري، آخر
المماليك الحاكمين، واستولى على البلاد
السورية كاملة. فكان من الطبيعي، وقد
غدا لبنان ضمن نطاق هذه السلطنة،
ان يتأثر بما تتأثر به في السراء والضراء،
وان يرتدي رداء يُظهر به صدق "تابعيته
العثمانية". بقي كذلك الى حين اقامة
المتصرفية، التي وإن تمتّع فيها بشيء من
الاستقلال النوعي، رغم تضيق حدوده،
بقي متفيئاً ظل الدولة العثمانية.
فحاكمه منها، ولغته الرسمية لغتها،
وعلمه علمها، واسطنبول (دار السعادة)
المرجع الاخير للفصل في قضايا اللبنانيين،
اذ عنها تصدر الاوامر الشاهانية، فيتبعها
الناس في جميع الولايات، والسناجق،
والمسلميات بالشكر والحمد، ولم تتبدل
هذه الحال الا بعد نهاية الحرب العالمية
الاولى.

من الاعياد الوطنية العثمانية التي
كان يحتفل بها لبنان مجارة للسلطنة
"عيد الجلوس الهمايوني المأنوس" الذي
كان يجري الاحتفال به في 19 آب من
كل عام، والمقصود به احتفاء بالذكرى
السنية لاعتلاء "سلطان البرين، وخاقان
البحرين" عرش آبائه واجداده.

كانت هذه العادة متبعة منذ فجر
التاريخ العثماني، انما غدت اكثر بروزاً
واتقاناً في زمن السلطانين عبد الحميد
الثاني الكبير ومحمد رشاد.

كان لبنان المتصرفية يقوم بهذا الواجب
في بيت الدين او بعبداء. واما في ولاية